

الظاهرة يمكننا تفسيرها حسب معطيات الإدراك الشمولي في نظرية المعرفة إذ بها نتبين كيف أنّ الكل ليس فقط حصيلة الأجزاء وإنما في الكل ما في الأجزاء منفردة وزيادة ، وعندئذ نستطيع تقريب ذلك بأحدث النظريات اللسانية والتي حاول فيها أصحابها أن يتجاوزوا دراسة اللغة من حيث الجمل الثابتة فعلا إلى دراسة النواميس الباطنية المختركة لقدرة المتكلم على إنشاء عدد من الجمل لاحد له مما قادهم إلى دراسة طبيعة اللغة وحركيتها .

ومن المعلوم أيضا أنّ أحدث النظريات في علم الدلالات قد اعتمدت مبدأ الطاقة الإيحائية في الظاهرة اللغوية لتدحض ما دأب عليه اللسانيون من تعريف اللغة بكونها أداة إبلاغ، ذلك أنّ أصحاب هذه النظرية المستحدثة قد انتهوا إلى تقرير أنّ اللغة توحى أكثر ممّا تصرّح ، وتنبّه أكثر ممّا تعبر ، وتستغز أكثر ممّا تخبر .

فإذا عدنا إلى الجاحظ وجدناه يقرّ في أصرح عبارة بأنّ اللغة تقوم أساسا على غزارة الدلالات وهي الظاهرة التي يتخذها إطارا للردّ على من اتّخذ من اختلاف المسلمين في تأويل نصّ القرآن مطية طعن في الإسلام ، وينتهي الجاحظ إلى تحدي هؤلاء الطاعنين أن يدلوه على لغة تقوم فحسب على الطاقات التصريحية دون الطاقات المفضية حتما الى الاختلاف النسبي - بين المتقبّلين للرّسالة اللغوية - طبقا لاختلاف تقديراتهم للأبعاد الإيحائية^(٣٦) .

أما طريقة الجاحظ في استغلال هذه الطاقة الإيحائية لتفسير الخصائص الأسلوبية المميزة فتبدو - بالرّجوع دوما الى صياغة

(٣٦) راجع : (ج ٣ - ص ٢٧٦) .